

محاضرات الفكر السياسي الغربي المعاصر*

ا.م.د. احمد علي محمد

المرحلة الرابعة / قسم العلوم السياسية

كلية القانون والعلوم السياسية

جامعة الانبار

الفصل الثاني

أطروحتا نهاية عصر الايديولوجية ونهاية التاريخ

المبحث الاول

أطروحة نهاية عصر الايديولوجية

١. شاعت مقولة نهاية عصر الايديولوجية على نطاق واسع في السنوات الاخير وخصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وترجع هذه المقولة الى ماكس ووبر ليعتمدها من بعده كتاب اخرون.
٢. يميز المفكر العربي عبدالله العروي بين مرحلة الايديولوجيا ومرحلة ما قبل الايديولوجيا ويرى انه لا يصح ان نعزو هذا المفهوم الى وقت سابق على القرن (١٨). الذي لم يعرف الفكر السياسي فيه مفهوم الايديولوجيا لانه لم يكن في حاجة اليه . ولم يتبلور هذا المفهوم الا على يد ماركس وأرجع ماركس كل اشكال التفكير الى اساسها الاجتماعي والاقتصادي.
٣. **تعريف الايديولوجيا:** هي نظام الافكار المتداخلة والمتكاملة كالمعتقدات والتقاليد والمبادئ والاساطير التي تؤمن بها جماعة او مجتمع وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والاخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية والنظامية وتبررها في الوقت نفسه.
٤. **ظهور الايديولوجيا:** لم تظهر الايديولوجيا نتيجة للصدفة ولا بفضل هذه الشخصية او تلك وانما ظهرت وتظهر دائماً تحت ضغط الحاجات السياسية والاجتماعية التي يطرحها نمط معين من العلاقات الاجتماعية يتمتع بالهيمنة السياسية والاجتماعية التي يطرحها نمط معين من العلاقات الاجتماعية يتمتع بالهيمنة وبمساهمة الكثيرين وجهودهم المتراكمة. وتجد الايديولوجيا سبب وجودها وبشكل كلي في التكامل القائم بينها وبين النظام الذي يفرزها. وان الايديولوجيا تتنوع بصورة طبيعية من نظام اجتماعي الى اخر. وتتنوع بتنوع النشاط السائد في النظام الاجتماعي كأن يكون نشاطاً اقتصادياً او اجتماعياً او سياسياً وبهذا الشكل يصح الكلام عن ايديولوجيا اقتصادية واخرى اجتماعية وثالثة سياسية.
٥. هناك اتجاه بالاعتقاد بان **الايديولوجيا هي رديف المجتمعات المتجهة نحو التصنيع والمتسمة بعدم الاستقرار في نظامها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي مما منعها من حل المشكلات الاساسية والامر الذي يؤكد وجود**

- الصراعات الاجتماعية فيها. ويرى اصحاب هذا الاتجاه في راسمالية القرن (١٩) والعقود الاولى من القرن (٢٠) صورة لمثل هذه المجتمعات التي تعتقدون تلعب دورها فيها.
٦. ان ظهور المجتمعات الصناعية المتطورة التي توفرت لها امكانية حل المشكلات الاجتماعية بفعل الرخاء المادي الذي وصلت اليه. وما تحقق من انسجام بين الطبقات حتى اختفت مبررات الصراع الاجتماعي وفقد الايديولوجيا سبب وجودها. وقد روج لهذا ماكس فيبر ووالف هرنودورف.
٧. هرنودورف يرى ان هذه المجتمعات تتميز بالعقلانية فهو يرى في كل ايديولوجيا حكما قيمياً بينما العلم الذي يمثل جوهر العقلانية التي تتميز بها المجتمعات الغربية الحديثة يقتضي استبعاد الايديولوجيا. واستطاعت المجتمعات الصناعية الحديثة ان تحقق درجة عالية من الرفاهة المادي لم تعد بعدها تعرف الصراع فانفتحت حاجاتها الى الايديولوجيا.
٨. الاتجاه السابق قوبل بالرفض فقد اكد موريس ديفرجيه ان الظواهر الاجتماعية تتمتع بأهمية خاصة ليس عن طريق واقعها المادي فقط وانما كذلك عن طريق الافكار التي تصاغ حولها عن طريق التماثلات الفكرية الجماعية والمعتقدات التي تتطور من حولها.
- وذهب لويس التوسر الى ان المجتمعات الانسانية تمثل كليات تتكون وحدتها عن طريق نموذج معين من التشكيلات المعقدة التي تضع موضع ثلاث معطيات هي: الاقتصاد والسياسة والايديولوجيا .
- ويرى جورج طرابيشي ان بلدان العالم الثالث تقدم تكذيباً ساطعاً لاطروحة نهاية عصر الايديولوجيا لأنها العامل الرئيسي للتحويلات الاجتماعية وشكلها التاريخي لدخولها في التاريخ.
- واكد ديفيد ادوارد ان نشاط الافراد والجماعات او بشكل خاص قرارات الحكم هي نتائج صور ذهنية
٩. تأثير الايديولوجيا:
- (أ) يرى ناصيف يوسف حتى عن اتجاه محافظ جديد يتميز بتركيزه على الناحية الايديولوجية فيشدد دائماً على العالم الحر والتراث الغربي والقيم الديمقراطية ويقدم تبريرات لسلوكية السياسة الخارجية الامريكية.
- (ب) يتجلى تأثير الايديولوجيا في السياسة بشكل عام دون ان هذا ان المصالح المادية لا توجد وانها ليست موضوع حضور وحماية وإنما كل الذي نعنيه هو ان هذه المصالح تكتسب طابعاً ايديولوجياً فلا يمكن ان يتم فهم المصالح وادراكها ولا تفسيرها ولا الدفاع عنها الا عبر معتقدات يتم التمسك بها عبر ايديولوجيات يتم الانطلاق منها والاستناد اليها.
- (ج) ان كل الايديولوجيات هي غطاء ينبغي رفعة من اجل تلمس واقع السلوك، ومتطلبات المصلحة تتقدم غالباً ان لم نقل دائماً على متطلبات الايديولوجيا في السلوك السياسي.
- (د) وعن اثر الايديولوجية في السلوك السياسي للدول مؤكدين هنا ان المرء يجد نفسه ملزماً دائماً بتبرير نشاطه مما يجعله ملزماً بالجوء الى الايديولوجيا التي تتم على الدوام عبرها وعلى اساسها.

أطروحة نهاية التاريخ

١. يرى فوكوياما ومؤيدوه على ان التطور البشري قد بلغ بالليبرالية الديمقراطية بمفهومها العلماني المطبق في الغرب بكل ما ينطوي عليه ذلك من تعددية مدنية ودينية واقتصاد السوق الحرة. واعلن فوكوياما ان الديمقراطية الليبرالية بمؤسساتها الاقتصادية والسياسية بدأت تزحف على بقية اجزاء العالم، تدل على ذلك وتؤكد الانتصارات المتتالية التي حققتها الايديولوجيا الديمقراطية الليبرالية على الايديولوجيات الاخرى كالمملكيات المطلقة والفاشية واخيراً الشيوعية وان انتصار الديمقراطية الليبرالية يشكل المرحلة النهائية في التطور العقائدي للجنس البشري مما يجعلها تمثل عنده نهاية التاريخ.
٢. يرى فوكوياما ان الديمقراطية الليبرالية قد واجهت تحديين رئيسيين هما: الفاشية بمختلف اشكالها والشيوعية. وقد كانت الحرب العالمية الثانية بمثابة الانتصار على الفاشية ونهاية الحرب الباردة انتصار على الشيوعية. ويترتب على هذين الانتصارين نهوض الديمقراطية الليبرالية بوصفها اللحظة المطلقة التي انتصر فيها العقل النهائي . ويعتقد فوكوياما كذلك بانه اذا ما وجدت الايديولوجيات التي اصطدمت بها الديمقراطية الليبرالية لفترة معينة فمرجع ذلك الى ان الدول التي اعتمدتها لم تكن دولاً ديمقراطية ليبرالية بالمعنى الدقيق للكلمة.